مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

المجال السيميائي للترجمة:
تمظهرات الحدود وآليات العبور بين الفضاءات الثقافية

THE SEMIOSPHERE OF TRANSLATION: MANIFESTATIONS OF BOUNDARIES AND MECHANISMS OF CROSSING BETWEEN CULTURAL SPACES

د. مصطفى علي بن شريف

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر

m.alibencherif@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2026/04/25 تاريخ القبول: 2026/08/24 تاريخ النشر: 2026/09/30

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الترجمة من منظور سيميائي باعماد مفهوم "السيميوسفير" كما نَظَّر له يوري لوتمان. مُنطلقنا المنهجي هو التسليم بأن الترجمة لا تَعبُر حدوداً قائمة بين الثقافات بشكل قَار ونهائي، بل تشارك في إنتاج هذه الحدود وإعادة رسمها. بعد عرض الإطار النظري سنقوم بالكشف عن أربع آليات حدودية للترجمة وهي التصفية، والتحويل، والحماية، والتجديد، لنطبقها بعدئذ على حالات ترجمية عربية إشكالية كترجمة القرآن الكريم والأدب والفلسفة. سنقدِّم في الأخير البعد السياسي للمجال السيميائي الخاص بالترجمة، فنُناقش تبعات اللامساواة في التدفقات الترجمية العالمية، مؤكدين أن الترجمة هي ممارسة ثقافية وسياسية تُسهم في تشكيل الحدود سيميائيا.

الكلمات المفتاحية:

إعادة الترميز؛ الآخرية؛ الحدود؛ المجال السيميائي؛ يوري لوتمان.

Abstarct:

This study examines translation from a semiotic perspective, drawing on Yuri Lotman's concept of the semiosphere. It posits that translation does not merely cross pre-existing cultural boundaries but actively produces and redraws them. Four boundary mechanisms are identified (filtering, conversion, protection, and renewal) and applied to problematic Arabic translation cases, including the translation of the Quran, literature, and philosophy. The political dimension of translation is also addressed, with particular attention to inequality in global translation flows. The study ultimately argues that translation is a cultural and political practice that contributes to the semiotic construction of boundaries.

Keywords:

Alterity; Boundaries; Recoding; Semiosphere; Yuri Lotman.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

حين نعتبر الترجمة مجرد نقل للمعنى من لغة إلى أخرى، فإننا نختزل عملية معقدة في بُعدها الأكثر سطحية، لأن الفعل الترجمي الذي يملك واعيا بأهميته وبعسره، يقتضي إعادة بناء للنص في سياق آخر، فلا نكون حينئذ بصدد نسخ آلي وبسيط للدلالة في لغة أخرى، بل إزاء مقاربة معقدة لعوالم سيميولوجية[1] لا تتطابق مبدئيا. في هذه الحالة تتجلى أهمية "تجربة الحدود" وما تتطلبه من آليات العبور الخاصة بالدلائل.

ينبغي التنبيه، هنا، إلى أن الحدود، في الفهم الشائع، هي خطوط تفصل بين منطقتين، وحواجز تعوق الاتصال بينها، فتتخذ شكل متارس فارقة، وعلامات مادية جلية تجعلنا نقول: هنا ينتهي فضاء ويبدأ آخر. تعضد هذا التصور الدلالة المعجمية، فـــ "الحد، الذي هو مفرد حدود، يعنى "الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر"[2]. نجد الأمر نفسه في لغات أخرى سيطول عرضها جميعا. لكن هذا الفهم قاصر ومضلل إلى حد كبير، فالحدود ليست إشارات فصل بل هي حيز لا يكون امتداده محددا سلفا ولا قابلا للتعميم، كما أنها ليست أَمارات تُباعد بين مجالين وتُعيِّن مدى كل واحد منهما، بل مكان تحوّل للسيميزيس (sémiosis) [3]. الترجمة هي، حسْبَ هذا التصور، دينامية فكرية تحدث في فضاء حدودي، فتعطيه وجوده الفعلي، وفق آليات تعمل على رسم التخوم، وتنظيم العبور، فتُقرر ما يدخل وما يُمنع، وتُحوّل هذا النتاج الوافد ليصبح قابلاً للاستقبال في الفضاء الجديد. هذا ما أدركه لوتمان (Yuri Lotman)، مؤسس مدرسة تارتو–موسكو السيميائية، بشكل دقيق حين صاغ مفهوم المجال السيميائي في الثمانينيات محيلا إلى ذلك الفضاء السيميائي الشامل الذي له تخوم لا تستطيع الدلائل أن تعمل خارجها.

لدراسة المجال السيميائي للترجمة وآليات عبور المتون، سنسعى للإجابة عن السؤال الآتي: كيف تعمل الترجمة بوصفها آلية حدودية تُنظم التبادل بين الفضاءات السيميائية المختلفة؟ سنعتمد للإجابة عن هذا السؤال هذا إطارا نظريا تتقاطع فيه أكثر من مرجعية إجرائية، إذ سنستند على السيميائية الثقافية كما بلورها لوتمان، وعلى سيميائية الدليل[4] في تصوّريها الأساسيين عند كلٍّ من بورس (Charles Sanders Peirce) وسوسور (Ferdinand de Saussure)، فضلاً عن نظريات الترجمة المعاصرة عند أنطوان بيرمان (Antoine Berman) ولورانس فينوتي (Lawrence Venuti) وهنري ميشونيك (Henri Meschonnic).

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

سنُسلِّم في البداية بأن الترجمة ليست عملية لاحقة لوجود الحدود الثقافية، بل هي آلية تأسيسية ومزامنة لها، تشارك في إنشائها وتعديلها وتعزيزها أو تفكيكها، ذلك أن المترجم ليس مجرد ناقل يوصل المتون النصية من لغة إلى أخرى، بل هو فاعل يعيِّن الحدود ويُعيد تشكيل الفضاء السيميائي الذي تتأسس وفقه، بفضل التكييف والضبط والترشيح والفلترة، وغيرها. بعد هذا سنطبق مفهوم المجال السيميائي على حالات ترجمية إشكالية تكشف عن آلية الحدود وكيفية اشتغالها.

2–الحدود والترجمة في منظومة المجال السيميائي

1.2 المجال السيميائي ومفهوم الحدود عند لوتمان

صاغ لوتمان مفهوم المجال السيميائي[5] أو السيميوسفير (sémiosphère) بالقياس على مفهوم "البيوسفير" (biosphère) الذي ابتدعه فيرنادسكي (Vladimir Vernadsky). فإذا كان البيوسفير هو الحيز الذي تمكن فيه الحياة لاشتماله على الغلاف الجوي والمائي والجيولوجي الخاص بالحياة بوصفها قوة، فإن السيميوسفير هو الحيز الذي تشتغل فيه الدلائل، والذي لا يمكن أن توجد بمعزل عنه، لأنه الفضاء الذي يستحيل وجود السيميوزيس ذاتها خارجه"[6]. المحيط السيميائي بناءً على هذا فضاء اجتماعي محدد بالتدفق السيميائي[7]، فلا يُختزل المجتمع في مجموع مؤسساته القارة والحدود الجغرافية الثابتة فقط، بل هو كيان يتشكل من خلال السيل المستمر والمتجدد للدلائل والرموز والمعلومات التي تمرّ عبر الممارسات الثقافية الرسمية والشعبية وسائل الإعلام والإعلانات والشبكات الرقمية، فيتخذ أحيانا شكلا من أشكال الترجمة.

لعل أهم ما يجب التأكيد عليه هو أن المجال السيميائي ليس فضاءً متعاليا ومتجانساً، بل مُهيكَلا، ومتدرجا، ومتعدد الطبقات، يجمع بين المركز والمحيط. فالمركز هو الحيز الرمزي والفعلي الذي تحصل فيه الأنظمة السيميائية المهيمنة، أي اللغة الرسمية، والخطاب المؤسساتي، والقيم الثقافية السائدة. أما المحيط فهو الحيز الذي تتواجد فيه الأنظمة الأقل تنظيماً مثل اللهجات، والفنون الشعبية، والممارسات الثقافية الهامشية – إراديا – أو المُهمَّشة بفعل خارج عنها. تمتد الحدود وفق هذا التفريق بين المركز والمحيط، وبين السيميوسفير وما يقع خارجه. إذن ليست الحدود حواجز ساكنة، بل آليات نشطة، ووظيفتها ليست منع انتقال الدلائل من مجال إلى آخر، بل نقلها وفق آليات واعية. إنها تقتضي في البداية التفريق بين /الداخل/ و/الخارج/. يقلب هذا التصورُ الفهمَ الشائع رأساً على عقب، فلا تكون التخوم حواجز تمنع التواصل، بل وسائط تُمكِّن من تحقيقه، لكن بشرط التحوّل عند الانتقال من مجال إلى آخر، حتى ولو حرصنا على أن نكون أمناء للأصل والفضاء المرجعي للمتون المترجمة. تفطن لهذا الأمر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الجاحظ حين قال: "اللغتان إذا التقتا في لسان واحد، أدخلت كل واحدة منها الضيم على صاحباتها"[8]. إذن إن ما يأتي من الخارج لا يدخل كما هو، بل يُعاد ترميزه، ويُكيَّف، ويُحوَّل، ويُؤوَّل. عندئذ لن تكون عملية الترجمة محايدة، لخضوعها للقواعد، والأعراف، وموازين القوى، وحدود قبول المضامين المغايرة والمتعارضة أحيانا مع المجال السيميائي المستقبِل.

2.2 الدليل والترجمة من المنظور السيميائي

الترجمة، من المنظور السيميائي، ليست عملية لغوية محضة. إنها نشاط يقوم بتحويل دلائلي يتجاوز اللغة ليشمل الأنظمة التعبيرية والإشارية الأخرى. هذا يجعلنا نميّز كما فعل، ياكوبسون (Roman Jakobson)، بين ثلاثة أنواع من الترجمة: الترجمة داخل اللغة الواحدة (إعادة الصياغة)، الترجمة بين اللغات (النقل بين لغتين)، والترجمة بين الأنظمة السيميائية (كتحويل رواية إلى فيلم)، لتصير ترجمة أي دليل لغوي إلى دليل آخر بديل، وبوجه الخصوص إلى دليل يكون فيه المعنى أكثر تطوراً وتفصيلا[9]. هذا التعريف مهم للغاية، لأنه يشير إلى أن المعنى ليس جوهراً ثابتاً كامناً في الدليل وقابلا للتعميم على اللغات الأخرى بشكل آلي، بل يستدعي تكييفا له في النظام نفسه أو في نظام آخر.

عمَّق بورس هذا المنظور من خلال نموذجه الثلاثي للدليل، الذي تجاوز نموذج سوسور الثنائي (دال/مدلول). الدليل حسْب هذا التصور مكوَّن من ممثِّل (representamen) وهو الشكل الذي يأخذه الدليل (كلمة، صورة، صوت، إشارة...)، وموضوع (object) وهو الشيء المادي الذي يشير إليه الدليل، ومؤوِّل (interpretant) وهو الأثر الذي يُنتجه الدليل في ذهن المتلقي. الجِدَّة في هذا النموذج هو أن المؤوّل ليس ثابتاً بل متغيراً يتحول حسب السياق، وحسب المتلقي، وحسب المجال السيميائي الذي يعمل فيه. تكون الترجمة، في هذا الإطار، إنتاجا لمؤوِّلات جديدة لدليل موجود أو ابتداعه إن لم يكن موجودا، فيأخذ المترجم الدليل في النظام الأصلي (حيث يُنتج مؤوِّلا محدداً لدى متلقٍّ محدد في مجال سيميائي محدد)، ويبحث له عن دليل في النظام الهدف، يكون قادرا على إنتاج مؤوِّل مماثل أو مشابه أو موازٍ عند متلقٍّ آخر في مجال سيميائي آخر. النتيجة هي أن المترجم لا يستبدل الكلمات بكلمات، بل يعيد بناء منظومة العلائق.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

3.2 أنطوان بيرمان والتجربة الأخلاقية للترجمة

يمنح المنظور الأخلاقي الترجمة بُعداً لا تستطيع المقاربات التقنية البحتة أن تلتقطه، لأن الترجمة تجربة وجودية. إنها، حسب بيرمان (Antoine Berman)، نشاط ذهني يتعامل مع "الآخر بما يجعله آخر"، فتعترف بالغرابة الكامنة فيه والحاصلة عند مواجهة الأنا. المطلوب في هذه الحالة هو عدم سعي المترجِم إلى إلغاء الغيْرية ومحو الاختلاف المميز لها أو إخضاعه كما هو حاصل عموما في "الاتجاهات التشويهية"، بتبني آليات واعية أو غير واعية تقود المترجم إلى "تطبيع" النص الأجنبي، وجعله مألوفاً، ومحو آثار غرابته. يُحدد بيرمان ثلاث عشرة آلية تشويهية، كالعقلنة التي تسعى إلى "ترتيب ما هو في الأصل فوضوي وتنظيمه، والتوضيح بمحاولة تجلية ما هو غامض أو ملتبس، والتمديد الذي يميل إلى أن يكون النص أطول من الأصل، لأن التوضيح والعقلنة يتطلبان إضافات"[10].

تكشف هذه النزعات التشويهية عن آليات إلغاء الحدود في للترجمة. إنها غير مختزلة في كيفية التعامل مع المتون فقط، بل ممتدة إلى سيرورة الانفتاح والتماس مع اللغات والثقافات[11]، لكشفها عن الطرائق التي يتعامل بها المترجم مع التخوم لتحويل ما يأتي من الخارج وجعله مقبولاً في الداخل. يدعو بيرمان إلى مقاومة هذه الاستراتيجيات الترجمية، وتبني ترجمة "أخلاقية" تحترم الآخَرية (altérité)، وتترك للنص الأجنبي حقه في أن يكون غريباً. تكون الترجمة وفق هذا التصور إسهاما في تشكيل صورة الآخر[12] وتقتضي التصدي للمركزية الإثنية (ethnocentrique)، حيث تكون الترجمة مواجهة مع الآخر الذي تكون الأحقية في أن يُعتبر كما هو لا كما نريده أن يكون[13]. هذا الموقف، المستوحى عموما من ولتر بنيمين (Walter Benjamin)، يرى أن مهمة المترجم هي أن يسترجع تعدد اللغات ويُسهم في الحوار بينها[14].

يذهب هنري ميشونيك (Henri Meschonnic) المذهبَ نفسه، لكن بمنهجية مختلفة، فميشونيك يُركز على ما يسميه "شعرية الترجمة"، فلا يكون التركيز على ما يقوله النص (المعنى) بل كيفية قوله (الإيقاع، النبر، التنظيم الصوتي...). إذن "ترجمة النص تعني ترجمة ما يفعله النص وليس ما يقوله فحسب. والنص لا يلفظ فقط، بل يفعل بإيقاعه، وبنظامه الخطابي، وبكيفية تنظيمه للمعنى"[15]. هذا ما تنبه إليه الجاحظ، فقال: "والشعر لا يُستطاع أن يُترجَم ولا يجوز عليه النقل. ومتى حُوِّل تقطّع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب"[16]. الفعل الترجمي يجعل المترجم إذن ينتج "لغة جديدة، بفعل التلاقي التاريخي بين شعرية لغة ما ولغة أخرى"[17]. من هنا لا تكون الترجمة رحلة نص بين لغتين، ولا رحلة بين نصين، ولكن فعلا داخل اللغة، وانزياحا، وعلاقة بين–شعرية (inter-poétique) تربط القيمة بالدلالة[18].

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

هذا التنبيه للإيقاع وللشعرية حاسم في السياق العربي، لأن في الأدب لا ينفصل الشكل عن المحتوى، حيث يكون الوزن جُزءاً من المعنى، والبلاغة من صميم البنية حتى وإن كانت للزخرفة. هذا ما نبه إليه عبد الفتاح كيليطو بخصوص صعوبة ترجمة متون عربية كثيرة، مثل المقامة[19].

3. آليات الحدود في الممارسة الترجمية

1.3 التصفية وأسس المقبولية بالعبور

أولى الآليات المعتمدة في الفعل الترجمي الذي يرسخ فكرة الحدود هي التصفية، ذلك أن المترجم والمؤسسات الراعية للترجمة عادة ما تنتقي المتون الجديرة بالمرور من لغة إلى أخرى، إذ لا يُسمح لكل شيء أن يَعبُر. هذا الاصطفاء ليس وليد استحقاق وأهمية خاصة بالنصوص. إنه ناتج في العادة عما يراه المترجم ضروريا أو مناسبا، فيقوم باختيار المتون والقنوات التي يمررها فيها (مجلات، كتب، ملتقيات، محاضرات...). هذا الانتقاء الذي يسبق فعل الترجمة، ليس اختيارا للنصوص التي تستحق الترجمة، ولكن إهمالا لغيرها في العادة، وهو بهذا ليس بريئاً ولا اعتباطيا كما قد يبدو. إنه مُحمَّل بدلالات ثقافية وسياسية عميقة، تتساوق مع المجال السيميائي الهدف.

تظهر هذه الآلية في "إعادة كتابة" (réécriture)، إذ تخضع من خلالها الترجمة لقيود مزدوجة، فهي، "أياً كان دافعها، تعكس إيديولوجية معينة وشعرية محددة، وبذلك تُوظِّف الأدب ليعمل في مجتمع بعينه بطريقة بعينها[20]، فتصير الترجمة حاملة لنوع من التلاعب (manipulation) باشتغالها على اللغة أولا وإيعازها للجمهور المستهدف بالتلقي وفق منظور خاص ثانيا[21].

إذا أردنا أن نطبق آلية التصفية على السياق العربي المعاصر، فيمكننا رصد ثلاثة اتجاهات مختلفة. الاتجاه الأول هو خاص بترجمة النصوص الأجنبية إلى العربية. الملاحظ وفقه أن الأدب الأوروبي، الفرنسي والإنجليزي بشكل خاص، يهيمن على حركة الترجمة العربية. أما الأدب الآسيوي أو الأفريقي (جنوب الصحراء) أو أدب أمريكا اللاتينية، فأقل حضوراً بكثير.

الاتجاه الثاني هو ترجمة النصوص العربية إلى لغات أخرى. تعمل هنا أيضاً آلية التصفية بوضوح، إذ يُلاحظ أن الأعمال العربية التي تُترجَم إلى لغات أوروبية تُختار غالباً وفق معايير لا تتطابق بالضرورة مع قِيمِها الأدبية فقط. فثمة "أفق انتظار" غربي يبحث، في كثير من الأحيان، عن نصوص تؤكد صوراً نمطية معينة تحيل إلى النزعة القبلية، والذكورية، والاستبداد، واضطهاد المرأة، ورفض الحداثة، وسلطة الدين، وغيرها، ويتجاهل نصوصاً أخرى لا تتطابق مع هذا الأفق.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الاتجاه الثالث، خاص بالنصوص المكتوبة بغير العربية ومن قِبَل مؤلفين ينتمون للفضاء العربي مثل الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية، فلهذه الترجمات خصوصيات عامة، تكون فيها التصفية على أساس آخر، مثل الوطنية، حيث تُترجم النصوص في العادة من قِبل مترجمين ينتمون لنفس البلد، بغية التعريف بمواطنيهم وآدابهم الوطنية، وبهذا يصْطفون عموما كتابا ونصوصا وفق الانتماء وليس الجودة أو الأهمية[22].

2.3 التحويل وإعادة الترميز وتجربة التخوم

النصوص التي تعبر الحدود، بفعل الترجمة، لا تصل كما هي، إذ تخضع لعملية تحويل، تتمثل في إعادة ترميزها لتجعلها مقروءةً في الفضاء الجديد أو مقبولة، خصوصا إن كانت تخرق أعراف المجال السيميائي المستقبِل أو تخدش الآداب العامة. هذا التحويل هو لُبّ العملية الترجمية.

يمكننا التمييز هنا بين عدة مستويات لإعادة الترميز أهمها:

- **المستوى اللغوي** وهو الأكثر وضوحاً، فتتغير الكلمات، وتتحور التراكيب، وتختفي الأصوات وتحل محلها أصوات أخرى. لكن حتى في هذا المستوى الأولي، ثمة قرارات حدودية معقدة، فالجملة العربية، بنظامها الإعرابي الخاص، تختلف عن بنية الجملة الفرنسية أو الإنجليزية. يجد هنا المترجم نفسه مضطراً لإعادة ترتيب عناصر الجملة، وتفكيك جمل طويلة أو دمج جمل قصيرة، وتحويل مبنيات للمجهول إلى بنيات أخرى (أو العكس).
- **المستوى البلاغي** هو أعمق وأعقد، إذ يشمل الاستعارات، والكنايات، والتعبيرات المجازية بأنواعها المختلفة، التي تشتغل ضمن أنظمة ثقافية محددة، تتأسس وفقها المجالات السيميائية وديناميات السيميوزيس. فتشبيه عيون المعشوقة بعيون المها كما عند علي ابن الجهم[23] مثلا، لا تعمل بالطريقة نفسها في لغة لا يحمل فيها هذا الحيوان الدلالات نفسها. بل حتى في السياق الثقافي المشترك، قد تصوغ المتون أفقا دلاليا مغايرا وفق انزياحات خاصة كما فعل السياب[24] في قصيدة المبغى، فقرن هذه الصورة بصُوَر أخرى كما وضّح هذا الحديثي[25]. سيكون المترجم هنا أمام خيارات متعددة: فهل يحافظ على الاستعارة الأصلية (ويخاطر بعدم الفهم)؟ أم يستبدلها باستعارة مكافئة في الثقافة الهدف (ويخاطر بخيانة النص)؟ أم يُوضّح ويشرح (ويخاطر بإلغاء الأثر الأدبي أو التقليل منه)؟

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

- **المستوى الثقافي** وهو الأكثر عمقاً، فبعض المفاهيم لا تمتلك مقابلات في الثقافة المستقبِلة. هذا لا يعني أنها "أفضل" أو "أسمى" أو "أدق"، بل أنها تنتمي إلى مِخيال مختلف وإلى تجربة إنسانية مغايرة. فليكسيم [الحشمة] يُحيل في الثقافة العربية المُتأثرة بالمرجعية الثقافية والدينية المهيمنة (الإسلام)، قد تُربط في ثقافات أخرى بمفاهيم سلبية كثقافة الذكورية والعُقد النفسية، مخالفة بهذا لمفاهيم الحياء والشرف والوقار والالتزام الديني. الأمر نفسه يقال عن مورفيم [البركة] الذي اكتفت لغات كثير بنقله كما هو. لا تخرج عن هذا المنطق مفردة (saudade) البرتغالية مثلا التي هي مزيج من الحنين، والحزن، والحب تجاه شخص أو مكان مفقود، مع إدراك عدم رؤيته مجدداً، ولا مفردة (dépaysement) الفرنسية التي تعني الشعور الذي يجمع بين الارتباك والدهشة وما ينتاب الشخص عندما يكون في بلد غريب ويُدرك أنه "لس في وطنه"، أو مفردة (l'ignavia) الإيطالية التي نقصد بها حالة من اللامبالاة الشديدة التي تمنع الإنسان من اتخاذ أي موقف، سواء كان خيراً أو شراً، أو مفردة (schadenfreude) الألمانية التي تحيل إلى الشعور بـــ "لذة التشفي" أو السعادة عند رؤية سوء حظ الآخرين، وهي ليست حقداً بالضرورة، بل ذلك الشعور الداخلي المباغت. المترجِم يضطر في هذه الحالة إما لاختراع تعبير جديد، أو لاستخدام حاشية توضيحية، أو لترك الكلمة العربية كما هي مع الشرح، وكل خيار يُعيد رسم الحدود بطريقة مختلفة.

3.3 الحماية والمنع من العبور

كل مجال سيميائي يمتلك آليات لحماية فضائه الثقافي، إذ ثمة نصوص وخطابات ومفاهيم يُمنع دخولها أو يُسمح لها بالدخول بشروط صارمة. هذه الآليات ليست خاضعة دائماً للرقابة الرسمية الصريحة، إذ تنبع من الأعراف الثقافية الضمنية، وتوقعات الجمهور، وضغوطات السوق، والصراعات الفئوية. نظَّر بورديو (Pierre Bourdieu)، في هذا السياق، لمفهوم "الرقابة البنيوية" (censure structurale)، مشيرا إلى تلك الآليات الخفية التي تحكم إنتاج الخطاب وتداوله دون أن تأخذ شكل المنع الصريح. في حقل الترجمة، تعمل هذه الرقابة من خلال اختيارات الناشرين وفق توقعات الجمهور. فالرقابة الأكثر فاعلية حسبه هي تلك التي لا تحتاج لأن تُمارس، لأنها مُدمجة في بنية الحقل ذاته، وفي شروط الانخراط فيه والاعتراف به. من هنا تكون الترجمة، ككل أشكال التعبير الثقافي، "عملية ضبط أو مواءمة بين المصلحة التعبيرية وبين الرقابة التي تشكّلها بنية الحقل الذي يُقدّم فيه هذا التعبير؛ وهذا الضبط هو نتاج عمل تلطيفي (euphémisation) قد يصل إلى حد الصمت، وهو الحد الأقصى للخطاب الخاضع للرقابة"[26]. يُحذّر بورديو، وفق هذا التصور، من إمكانية التضليل الذي تحتويه استعارة الرقابة،

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

فبنية الحقل ذاتها تسبق التدخل الرسمي للرقيب، إذ تحكم مجال التعبير وفق منظومة من القيم الأسلوبية والأخلاقية، وتُؤسِّس للمقبولية وأشكال تجاوزِ هذه المقبولية[27]. هذا بالضبط ما عبَّر عنه دوراناد (Pascal Durand) من خلال مفهوم الخضوع العام لأرثوذكسية الآراء، مُشيرا إلى تلك الآراء السائدة والمقبولة في مجموعة بشرية ما[28]. إذن الرقابة حاضرة دائماً في أفق الخطاب، ليس فقط في شكل عقوبة أو حذف أو غياب، بل في شكل أمرٍ (إلزامي) مباشرٍ وجلي أو لا، وفق مسارات محددة بعناية داخل المجتمع. بالنسبة لفوكو (Michel Foucault)، هذا الأمر مزدوج: فيه ما هو غير مسموح وما هو مباح، بالنظر إلى "ما لا يُقال، ولا ما يُرى، ولا ما يُعرف"[29].

في الممارسة الترجمية العربية، يمكن رصد آليات الحماية في عدة مجالات، فترجمة النصوص التي تتحدى الأعراف المجتمعية والمعتقدات الدينية السائدة تواجه عقبات كبيرة، وهي ليست بالضرورة رقابة رسمية (وإن كانت الرقابة الرسمية موجودة في بعض السياقات)، بل مناخاً ثقافياً يجعل النشر صعباً والتلقي محفوفاً بالمخاطر والاقتناء مُزدَرا أو مُحارَبا. النصوص المتعلقة بالجنسانية والجندرية، واللادينية تُهذّب غالباً في ترجماتها العربية إن أتيح لها عبور الحدود وكُتب لها أن تُنقل. كما أن الأفكار السياسية الراديكالية أو المخالفة لأنظمة الحكم، والعقائد المترسخة مجتمعيا، تُلطّف أو يُبرَّر لها بشكل يمنحها نوعا من المقبولية. المترجم يجد نفسه في هذه الحالة في موقف وسيط بين أمانة النقل ومقتضيات المجال السيميائي.

4.3 الحدود وفضاءات التماس والتجديد

ليست الحدود موقعا مشتغلا وفق التصفية والحماية والمنع فقط، إنها أيضاً – وربما أساساً – موقع إبداع وتجديد، وهي بهذا مناطق مكثفة للمجال السيميائي. إنها، بهذا المعنى، الحيز الذي تتولد فيه معانٍ جديدة من لقاء أنظمة سيميائية مختلفة[30] يظهر هذا في فضاءت التماس بين المجالات السيميائية، فالأندلس مثلا كان مجالا حدودياً بين الإسلام والمسيحية واليهودية، وبين الثقافة العربية والأمازيغية واللاتينية، وبين الشرق والغرب. لعل هذا ما جعله واحداً من أكثر المراكز الثقافية إبداعاً وتجديدا في تاريخ الثقافة العربية. وبيت الحكمة في بغداد كان أيضا فضاء احتكاك وتفاعل بين التراث اليوناني والتراث العربي الإسلامي، مكّن من إنتاج المعرفة الجديدة. الأمر نفسه يقال عن الإسكندرية الكوزموبوليتية التي تفاعلت فيها ثقافات متعددة، وكانت فضاءً للمثاقفة الفكرية والأدبية.

الترجمة، في هذه السياقات المختلفة، لم تكن، كما في غيرها، مجرد نقل، بل كانت تجديدا لأشكال التعبير المختلفة وإبداعا مُستحدَثا لمفاهيم جديدة، وإنتاجاً لموروث ثري. إذن تتفاعل النصوص المترجمة عموما، وفق أشكال مختلفة، مع البيئة الثقافية المستقبِلة، تُلقّح تقاليدها، وتفتح إمكانياتها التعبيرية على أفق جديد، فابن رشد لم

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

يكتف، على سبيل المثال، بـــ"نقل" أرسطو إلى العربية فحسب، بل أعاد بناء فلسفته في سياق فكري جديد، وكَيّف بعض مفاهيمه ومقولاته وفق رؤية مختلفة عما اطلع عليه، ليسمح لأوروبا بإعادة بنائه من جديد عبر اللغة اللاتينية، فظهرت الرشدية الجديدة (néo-averroïsme) التي كانت في العموم تركيبا ما بين فكر أرسطو وفكر ابن رشد[31]. من هنا يمكن أن نستنتج أن حركة ترجمة دينامية مزدوجة، تحصل وفق عبور حدودي في الاتجاهين، يَنتج عنها شيئاً لم يكن موجوداً في أي من المجالين السيميائيين، سواء مجال الانطلاق أو مجال الوصول.

4. اشتغال الحدود في السياق العربي

1.4 ترجمة القرآن بوصفه حدا أقصى

يُمثل القرآن الكريم الحالة القصوى للتحدي الحدودي في الترجمة من العربية، فالنص المقدس هو، بطبيعته، نص مركزي للمجال السيميائي بأكمله، خصوصا في المجتمعات الدينية. فالقرآن ليس متنا ضمن الثقافة الإسلامية، بل نصا تأسيسيا تُبنى عليه – مبدئيا – هذه الثقافة، بالإضافة إلى مصادر التشريع الأخرى. ترجمته تعني إذن نقل الركيزة الرئيسة التي يقوم عليه المجال السيميائي المرجعي إلى مجال آخر مغاير له، مع ضرورة الحفاظ على بعده الجوهري ومطلقيته وقدسيته. هذه الشرطية جعلت البعض يرفض ترجمة القرآن، أو يؤكد، على الأقل، على قصور أي ترجمة بالضرورة. يتأكد هذا الأمر أكثر في طبيعة الإعجاز الذي تنبني عليه قدسية النص القرآني، مثلما يؤكده التحدي الذي تشير إليه هذه الآية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[32]. لا يكمن الإعجاز القرآني، في عرف المؤمنين، فقط في "محتواه"، من أوامر ونواهي وقصص وتشريعات، بل هو مرتبط باللغة ذاتها، أي في بنيته الصوتية، وفي إيقاعه، وفي بلاغته، وفي العلاقات بين المستويات اللغوية المختلفة، إلخ. ترجمة القرآن تعني إذن بالضرورة فقدان هذا البعد. هذا التأسيس الاعتقادي للمجال السيميائي للنص المقدس وفق هذا المنظور، لم يحض بالإجماع، فقد فرق محمد أركون مثلا بين "الحقيقة المُتلقاة" (ما تفهمه الجماعة المؤمنة من النص) و"الخطاب القرآني" بوصفه بنية لغوية قابلة للتحليل، لكن أركون، وإن رأى أن النص القرآني يمتلك بنية خطابية خاصة لا يمكن اختزالها في مضمونها العقدي أو التشريعي، فإنه أشار إلى أن هذا المتن يملك بنية خطابية مرتبطة عضوياً باللغة العربية وبالسياق التاريخي والثقافي الذي أُنتجت فيه[33]. هذا الأمر يجعل المجال السيميائي أكثر تعقيدا، وحصر حدوده أكثر عسرا. ضف إلى هذا التنوع في السياق في الثقافة الواحدة في الزمان والمكان، كما أوضحه أركون نفسه حين أشار إلى أن هناك اختلافا بين العالم الإسلامي القديم والعالم الإسلامي المعاصر فيما يخص مسائل العصر[34].

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

الملاحظ أن المترجمين الذين تصدّوا لترجمة القرآن إلى الفرنسية مثلا، من كازيميرسكي (Albert Kazimirski) في القرن التاسع عشر إلى جاك بيرك(Jacques Berque) وأندريه شوراكي (André Chouraqui) ومحمد حميد الله مثلا في القرن العشرين، تبنوا استراتيجيات مختلفة، فبيرك حاول الاقتراب من إيقاع النص القرآني، مستخدماً نثراً فرنسياً يحتفظ ببعض الغرابة والسمو، أما حميد الله اختار ترجمة أقرب إلى الحرفية، تحافظ على بنية الجملة العربية قدر الإمكان، وشوراكي حاول قراءة القرآن في ضوء علاقته بالنصوص التوراتية، منتجاً ترجمة تكشف عن القرابة بين النصوص المقدسة. إذن كل ترجمة من هذه الترجمات أنتجت متنا "قرآنياً" مختلفاً في اللغة الفرنسية. وكل منها اتخذت موقفاً مختلفاً من الحدود بين العربية والفرنسية، وبين الإسلام والثقافة الغربية، وبين المقدس والدنيوي.

2.4 ترجمة الأدب العربي وتجربة الحدود

كان حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب عام 1988 لحظة حدودية فارقة في تاريخ الأدب العربي، إذ أصبح فجأة في مركز الاهتمام العالمي. ترجماته إلى لغات عديدة تضاعفت. لكن هذا "العبور" أثار أسئلة عميقة، فالحوارات المكتوبة بالعامية المصرية مثلا، وهي جزء أساسي من واقعية محفوظ، تُطرح فيها مسألة الصيغة التي تنقل بها. فهل تُترجم بلغة معيارية محايدة (فيضيع الأثر الاجتماعي للعامية)؟ أم بعامية مقابلة في اللغة الهدف (فتتغير الدلالات الطبقية والجغرافية)؟

طُرحت مسـألة الحدود أكثر في المتن الشعري العربي، لأنه الشكل الفني الذي تظهر فيه إشكالية التخوم بحدّة أكبر، لأنه يتماهى مع لغته، فهو لا يقول الأشياء بل يُبدعها في الوقت الذي يبدع شكله التعبيري. فالشعر ليس وصفاً محاكيا للعالم كما هو الأمر عند أرسطو، ولا انعكاسا لعالم المثل كما في تصور أفلاطون، إنه خلق لهذا العالم، لهذا فلا تعني ترجمته نقل معنى بل محاولة لخلق موازٍ في لغة أخرى كما أكد أدونيس[35]. ترجمة المعلقات مثلا إلى الفرنسية، تُواجه تحدياً هائلاً، أهمها العروض، والقافية الموحدة، وبنية الأبيات ذات صدر وعجز، إضافة إلى الصورة الشعرية. هذا ما جعل أندريه ميكيل وجاك بيرك، في ترجماتهما للشعر العربي القديم، يحاولان الاحتفاظ ببعض الغرابة الإيقاعية، مُنتجين نثراً فرنسياً ذا إيقاع خاص لا يتطابق مع النثر العادي ولا مع الشعر الفرنسي المعهود.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

4.4 ترجمة المصطلح الفلسفي وبناء مفاهيم جديدة

تُمثِل ترجمة المصطلح الفلسفي من اليونانية إلى العربية في العصر العباسي واحدة من أعظم المغامرات الحدودية في تاريخ الثقافة العربية. فلم يجد المترجمون، مثل حنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين وقسطا بن لوقا وغيرهم، في العربية مقابلات جاهزة للمفاهيم الفلسفية اليونانيةـــ، لذا كان عليهم أن يخترعوا مصطلحات جديدة. كلمة "فلسفة" ذاتها تعريب لـــ"philosophia" (*φιλοσοφία*) اليونانية، و"هيولى" تعريب لـــ"hylē" (*ὕλη*)، و"طبيعة" ترجمة لـــ"physis"(*φύσις*). بعض هذه المصطلحات تعريبات صوتية (حافظت على الصوت اليوناني)، وبعضها الآخر ترجمات دلالية (نقلت المعنى بكلمات عربية)، والباقي اختراعات جديدة لا علاقة مباشرة لها باليونانية. يرى غوتاس(Dimitri Gutas) أن المترجمين العباسيين لم يكونوا " مجرد نَقَلة، بل كانوا علماء اختاروا بوعي ما يُترجمونه، وأعادوا صياغة ما ترجموه ضمن إطار مفهومي عربي إسلامي، وأنتجوا بذلك معرفة جديدة لم تكن موجودة في اليونانية ولا في العربية قبلهم"[36]. هذا "الإنتاج المعرفي الجديد" هو ما يحدث في الحدود في أفضل حالاتها، فهو ليس مجرد عبور، بل إبداع، يجعل المفاهيم تسلُك المجالات وتتحول، لتُنتج شيئاً لم يكن ممكناً في أي من الجانبين لو بقي منفرداً.

5. أبعاد السلطة في المجال السيميائي بين ترسيم الحدود وتحديد العبور

1.5 اللامساواة في التدفقات الترجمية

حركة الترجمة العالمية ليست متوازنة. صنّف هايلبرون (Johan Heilbron)، وفق هذا المبدأ، اللغات في النظام العالمي للترجمة إلى أربع فئات: لغة مركزية فائقة (الإنجليزية)، لغات شبه مركزية (الفرنسية، الألمانية)، لغات محيطية (معظم لغات العالم بما فيها العربية)، ولغات هامشية. يكفي أن ننظر إلى الأمر إحصائيا لنتبين هذا الأمر، ذلك أن "اللغة الإنجليزية تحتل موقع المركز في النظام العالمي للترجمة. فأكثر من نصف الكتب المترجمة في العالم تُترجم من الإنجليزية، في حين أن أقل من ثلاثة بالمئة من الكتب المنشورة في الولايات المتحدة وبريطانيا هي كتب مترجمة"[37].

هذا اللاتوازن يعني أن الحدود لا تعمل بالطريقة نفسها في الاتجاهين، فحدود اللغة الإنجليزية شبه منيعة أمام ما هو وافد، لقلة المتون التي تدخل هذا المجال السيميائي، ولكنها مفتوحة على مصراعيها أمام ما يخرج منه. حدود اللغة العربية، على العكس، مفتوحة نسبياً أمام الداخل (كتب كثيرة تُترجم من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية) لكنها شبه مغلقة أمام الخارج (الترجمة من العربية إلى لغات أخرى قليلة).

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

2.5 الاستشراق والترجمة ورسم حدود الآخر

كشف إدوارد سعيد كيف أن الخطاب الغربي عن الشرق لم يكن وصفاً محايداً بل بناءً إيديولوجياً يخدم مصالح سلطوية، وكانت الترجمة أداةً مركزية في هذا البناء، فالاستشراق "ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل ينعكس فيه الاستعمار بشكل سلبي. إنه توزيع للوعي الجغرافي–السياسي في نصوص جمالية وعلمية واقتصادية وسوسيولوجية"[38]، فالمستشرقون الذين ترجموا النصوص العربية، حسب هذه النظرة، لم يفعلوا هذا من فراغ، بل وفق مخيال مُهيكَل بشكل واع، فاختياراتهم لِمَا يُترجَم وكيف يُترجَم كانت محكومة عموما بأطر تفسيرية مسبقة. النصوص الدينية مثلا، تُرجمت أحيانا لتُثبت "جمود" الفكر الإسلامي، والقصص والحكايات نُقلت لتُظهر "غرابة" الشرق واختلافه عن الغرب.

لكن هذا لا يعني أن كل ترجمة استشراقية كانت تشويهية بالضرورة، فبعض المستشرقين أنتجوا أعمالاً ترجمية بالغة الدقة والعمق، فالإشكالية ليست في الأفراد بل في بنية المخيال والإطار المؤسساتي والإيديولوجي الذي تمت فيه الترجمة. حتى المترجم حسن النية كان لا يستطيع أحيانا أن يتجاوز تماماً المجال السيميائي الذي يعمل ضمنه.

3.5 المقاومة بالترجمة

في مقابل الترجمة بوصفها أداة هيمنة، ثمة إمكانية لجعلها أداة مقاومة. هذا ما أشار إليه فينوتي (Lawrence Venuti) في الترجمة "التغريبية" (foreignizing)، حيث يُحتفظ في الترجمة بغرابة النص الأصلي، وعدم التروع إلى تطبيعه وإدماجه بسلاسة في الثقافة المستقبِلة[39].

في السياق العربي، يمكن أن تأخذ الترجمة المقاوِمة أشكالاً متعددة، مثل ترجمة المتون مهمشة إلى لغات أوروبية، لكن بشكل يتحدى الصور النمطية. كما أن ترجمة نصوص فكرية ونقدية إلى العربية، تسمح بدخول أدوات تحليلية جديدة إلى الخطاب العربي. هذه ترجمات "تفتح" الحدود، وتُظهر ما كان مسكوتا عنه أو محجوباً بدافع اللامبالاة.

طرح طه عبد الرحمن، في هذا السياق، مفهوم "الترجمة التأصيلية" في المجال الفلسفي بديلاً عن الترجمة الحرفية أو التبعية، حيث لا تُنقل المفاهيم الأجنبية كما هي ولا تكتفي باستبدال ألفاظ بألفاظ، بل تُعيد بناءها ضمن الإطار الفكري واللغوي العربي الإسلامي، فيسعى المترجم إلى "تخريج النص على مقتضى أصول المجال التداولي للمتلقي"[40]. يعكس هذا الموقف فهماً خاصاً لطبيعة الحدود، لكنه قد يقودنا إلى اعتماد منحى تشويهي. يُشترط في الترجمة التأصيلية ألا تُلغي الحدود، فتُعيد عندئذ رسمها بطريقة تسمح بالانفتاح دون الذوبان، وبالاستقبال دون التبعية.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

6. الحدود المتحولة والترجمة في العصر الرقمي

1.6 تحولات الحدود في الفضاء الرقمي

أعاد الفضاء الرقمي تشكيل طبيعة الحدود السيميائية، إذ لم تختف تماما، لأن التقسيمات اللغوية والثقافية لا تزال قائمة، لكنها أصبحت أكثر مرونة، وأكثر نفاذا، وأقل استقراراً. المشكلة، في هذه الحالة، "ليست في إيصال المعلومة بل في فهمها. وفهمها يتطلب ترجمة ثقافية لا تستطيع أي تقنية أن تقوم بها وحدها"[41]. الترجمة الآلية، مثل غوغل ترانسليت وديبلي وغيرهما، جعلت "نقل الكلمات" بين اللغات سهلاً ومتاحاً. لكن نقل الكلمات ليس نقل المعنى. والمعنى، كما أوضحنا في هذه الدراسة، ليس محتوى ثابتاً في الدلائل بل نتاج علاقات بين الدلائل والسياقات والأنظمة السيميائية والتجارب الثقافية.

2.6 الحدود الجديدة غير المرئية

لم يُلغِ العصر الرقمي الحدود، بل أنتج حدوداً جديدة. الخوارزميات التي تُنظم تدفق المعلومات على الإنترنت مثلاً تعمل كحدود لا مرئية، تعيِّن ما يراه المستخدم وما لا يراه. "فقاعة الترشيح" (filter bubble) التي تحدث عنها باريزر (Eli Pariser) هي شكل جديد من الحدود السيميائية، التي تُبرمج خوارزمياً، وتُنشئ مجالات سيميائية فردية مخصصة لكل مستخدم.

لننبه هنا إلى أن هذه الحدود الجديدة تعمل، في مجال الترجمة، بطرائق معقدة، فالترجمة الآلية تبدو أداة لكسر الحدود، إذ يمكن قراءة مقال بأي لغة بنقرة زر، لكنها في الواقع إعادة إنتاج لحدود أخرى: حدود بين من يملكون إمكانية الوصول إلى التكنولوجيا ومن لا يملكونها، وحدود بين اللغات المدعومة جيداً تقنياً واللغات المهمَلة، وحدود بين ترجمة سطحية تكتفي بنقل الكلمات وترجمة عميقة تنقل المعاني بمراعاة لسياقاتها.

3.6 الاستنتاج

إذا تساءلنا عن مستقبل الترجمة في عالم تحكمه الرقمية، فإنه من المستحيل تقديم إجابة يقينية، لكن هناك مؤشرات كثيرة عن التمظهرات المستشرَفة بالنظر إلى طبيعة المجال السيميائي. لعل أهمها:

أولاً، لن تختفي الحدود، إذ طالما وُجدت لغات وثقافات مختلفة، فستوجد تخوم سيميائية. والترجمة ستبقى ضرورية، ليس فقط بوصفها أداة للتواصل، بل كآلية ثقافية تُنظم التبادل وتُنتج المعنى. حتى لو تحسنت الترجمة الآلية بشكل كبير، فستبقى ثمة حاجة إلى ترجمة بشرية واعية بالسياقات الثقافية والسياسية.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

ثانياً، ستتغير طبيعة الحدود، ذلك أن الحدود في عصر الأدب المطبوع كانت محددة بحاملها المادي، أما الحدود في العصر الرقمي فهي رهن المنصات والخوارزميات وأشكال التعبير المتعددة الوسائط. المترجم المستقبلي لن يترجم نصوصاً فحسب، بل سيترجم تجارب رقمية كاملة، بصرية وسمعية ولغوية وتفاعلية.

ثالثاً، أصبح الوعي بالحدود أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى. ففي عالم يبدو فيه كل شيء متصلاً ومتاحاً، ثمة خطر الوهم بأن الحدود لم تعد موجودة. هذا الوهم خطير، لأنه يُخفي الفجوات الثقافية بدلاً من مواجهتها. الوعي النقدي بالحدود، وبآليات عملها، شرط لتواصل حقيقي عابر للثقافات.

7 . خاتمة:

ليست الترجمة جسراً يعبر فوق حدود ثابتة، إنها تجربة تخوم، تتفاعل مع غيرها وتتطور حسب السياقات الثقافية. كما أن هناك آلية تحقق هذا الأمر وتُنظم العبور بين الفضاءات السيميائية، وتُحدد ما يدخل وما يُمنع، وتُحوّل ما يعبر، وتشارك بذلك في تشكيل الفضاءات ذاتها، بتعريفها ما هو "داخلي" وما هو "خارجي"، ما هو خاص بـــ"الأنا" وما هو محيل إلى "الآخر"، ما هو "مألوف" وما هو "غريب".

يشتغل المجال السيميائي وفق هذا التصور في مستويات مختلفة. ففي المستوى النظري، يمنحنا إطاراً لفهم الحدود ليس كحواجز بل كفضاءات نشطة للترجمة والتحوّل. أما في المستوى التحليلي، فإن آليات التصفية والتحويل والحماية والتجديد تصف ما يحدث فعلاً حين يَعبُر نص من مجال سيميائي إلى آخر. في المستوى السياسي، تكشف اللامساواة في التدفقات الترجمية والتراتبية بين اللغات عن علاقات سلطة مُضمّنة في بنية الترجمة ذاتها. في المستوى الأخلاقي، يتضح أن الترجمة ليست عملية تقنية محايدة بل مسؤولية أخلاقية تتطلب وعياً بالآخر واحتراماً لاختلافه.

الحالات التي درسناها، ترجمة القرآن، والأدب، والمصطلح الفلسفي، أكدت كلها أن الترجمة عملية لا تنتهي عند "نقل المعنى". إنها إعادة إنتاج للمعنى في سياق جديد، وهذه الإعادة تُنتج دائماً شيئاً مختلفاً عن الأصل، ليس أفضل ولا أسوأ بالضرورة، لكنه مختلف حتما. الاعتراف بهذا الاختلاف هو شرط لترجمة أمينة وأخلاقية.

في العصر الرقمي، تتضاعف أهمية هذا الوعي بالمجال السيميائي، فالترجمة الآلية توفر سهولة غير مسبوقة في "نقل الكلمات"، لكنها تُخفي عمق المسافة الثقافية التي تفصل بين الأنظمة السيميائية. إذن الاتصال التقني لا يعني التواصل الثقافي، فالترجمة بحاجة، أكثر من أي وقت مضى، إلى اختصاصيين واعين بموقعهم الحدودي، وقادرين على التفاوض مع التخوم بدلاً من إنكارها أو الخضوع لها.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الترجمة، في نهاية المطاف، هي عمل يقوم على إدراك الحدود، فلا يسعى للعبور السريع بل للإقامة الواعية في منطقة التماس، لاستكناه الاختلافات والإفادة منها. كما أنها ليست محوا للحدود ولا تكرارا لها في سياق آخر، بل تحويلا خلاقا، فالمترجم الجيّد هو من يعرف أن الحدود ليست عائقاً يجب إزالته بل فضاءً يجب إدراكه، واعتباره حيزا للحوار والتفاوض والإبداع.

8. الهوامش:

[1] نتبنى هنا مفهوم بامسلاف (Louis Hjelmslev) السيميولوجيا. انظر:

Greimas, A. J., & Courtés. J. (1979). *Sémiotique : dictionnaire raisonné de la théorie du langage*. Hachette. Paris, p.336.

[2] ابن منظور، (1994)، لسان العرب. دار صادر. الطبعة الثالثة. بيروت، ج3، ص.140.

[3] السيميوزبس هو عملية تقتضي الارتباط المتبادل بين عنصري الدليل (الدال/المدلول). وهي تصل، حسب بورس، إلى الانطباع الحاصل في ذهن الإنسان بفعل الدليل، وهو بهذا يشير إلى عملية دينامية غير ومتجددة، وغير مختزلة في الحالات الثابتة للدلالة. أما حسب يامسلاف، فهو يحيل إلى تعالق شكلي التعبير والمحتوى. انظر:

Greimas, A. J., & Courtés. J. (1979). *Sémiotique : dictionnaire raisonné de la théorie du langage*. Hachette. Paris, p.339.

[4] نُفضّل ترجمة (signe) بمصطلح الدليل بدلا من المصطلح الشائع العلامة، الذي نخصصه لمصطلح (marque) بروب (Vladimir Propp)، لتجانس الدليل اشتقاقا مع مكونيه عن سوسور الدال (signifiant) والمدلول (signifié).

[5] درجت الدراسات العربية على ترجمة السيميوسفير بمصطلح سيمياء الكون، اقتداء بمترجم كتاب يوري لوتمان، مع أن هذه الترجمة تخلط بين علم الدلائل الثقافية، أي السيميائية، التي عبّر عنها بالسيمياء، وبين موضوع العلم، والذي جعله الكون. بيد أن السيميوسفير هي فضاء، وليست علما وهي مكونة من (sémio) التي تحليل إلى الدلائل و (sphère)التي تعني المحيط أو المجال. ينظر: يوري لوتمان، سيمياء الكون، ترجمة الدكتور عبد المجيد النوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة 2014 م.

[6] Lotman, Y. M. (1999). *Universe of the mind: A semiotic theory of culture* (A. Shukman, trad.). I. B. Tauris. (Publication originale 1990). London/New York, p. 58.

[7] Semprini, A. (2003). *La société de flux : formes du sens et identité dans les sociétés contemporaines*. L'Harmattan. Paris, p. 185.

[8] الجاحظ، (دت)، البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت، ج1، ص، 376.

[9] Jakobson, R. (1963). *Essais de linguistique générale*. Minuit. Paris, 1963, p. 79.

[10] Berman, A. (1999). *La traduction et la lettre, ou l'auberge du lointain* (2e éd.). Seuil. Paris, p. 53.

[11] Berman, A. (1985). « La traduction comme épreuve de l'étranger ». *Texte*, (4), 67-81. Toronto, pp.67-81.

[12] Lefevere, A. (1992). *Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame*. Routledge. London, p.39.

[13] Sciarrino, E. (2016). *Le plurilinguisme en littérature : le cas italien*. Éditions des Archives contemporaines. Paris, p.125.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[14] *Cf.* Benjamin, W. (2000). « La tâche du traducteur » (M. de Gandillac, trad., rév. par R. Rochlitz). Dans *Œuvres I*. Gallimard. Paris ; Berman, A. (2008). *L'âge de la traduction*. Presses Universitaires de Vincennes. Paris.

[15] Meschonnic, H. (1999). *Poétique du traduire*. Verdier. Lagrasse, p. 12.

[16] الجاحظ، (د.ت)، *كتاب الحيوان* (تحقيق عبد السلام هارون). مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج1، ص 75.

[17] Meschonnic, H. (1973). « D'une linguistique de la traduction à la poétique de la traduction ». Dans *Pour la poétique II* (p. 361). Gallimard. Paris, p.361.

[18] Meschonnic., H. (1999), *Op. Cit.*, p. 96.

[19] كيليطو، (2002)، لن تتكلم لغتي. دار الطليعة. بيروت، ص. 10–16.

[20] Bassnett, S., & Lefevere, A. (1990). *Translation, history and culture*. Pinter Publishers. London, p.ix.

[21] Delisle, J. (2021). *Notions d'histoire de la traduction*. Presses de l'Université Laval. Québec, p.220 ; Lefevere, H. (1992). *Op. Cit.*, p. vii.

[22] حفناوي بعلي، (2018)، الترجمة النقدية التأويلية الكتب المقدسة، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ص.397.

[23] ابن الجهم، (دت)، ديوان علي بن الجهم، وزارة المعارف، ص.252.

[24] السياب، (2021)، ديوان بدر شاكر السياب، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، ص.259.

[25] الحديثي، (2019)، الانزياح في شعر السّياب. دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان، ص.153.

[26] Bourdieu, P. (2013). *Questions de sociologie*. Éditions de Minuit. Paris, p. 139.

[27] Bourdieu, P. (2001). *Langage et pouvoir symbolique*. Seuil. Paris, p. 344.

[28] Durand, P. (dir.). (2004). *Médias et censure : figures de l'orthodoxie*. Éditions de l'Université de Liège. Liège, p. 16.

[29] Foucault, M. (1991). *Histoire de la sexualité, t. 1 : La volonté de savoir*. Gallimard, 1991, p. 10.

[30] Lotman, 1999, *Op. Cit.*, p. 140.

[31] يُنظر: حدادي، (2000)، صورة ابن رشد في الكتابات الأوروبية والعربية. مطبعة ما بعد الحداثة. الدار البيضاء.

[32] القرآن الكريم، البقرة: 23

[33] Arkoun, M. (1984). *Pour une critique de la raison islamique*. Maisonneuve et Larose. Paris, p. 47.

[34] Arkoun, M., & Gardet, L. (1978). *L'islam, hier-demain*. Buchet-Chastel. Paris, pp. 187-188.

[35] يُنظر: أدونيس، (1985)، الشعرية العربية. دار الآداب. بيروت.

[36] Gutas, D. (1998). *Greek thought, Arabic culture: The Graeco-Arabic translation movement in Baghdad and early Abbasid society*. Routledge. London/New York, p. 142.

[37] Heilbron, J. (2010). "Structure and dynamics of the world system of translation." *UNESCO International Symposium "Translation and Cultural Mediation"*, 1-7. Paris, p. 14.

[38] Said, E. W. (1980). *L'orientalisme : l'Orient créé par l'Occident*. Seuil, 1980, p. 22.

[39] Venuti, L. (1995). *The translator's invisibility: A history of translation*. Routledge. London/New York, p. 20.

[40] طه عبد الرحمن، (1995)، فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، ص 357.

[41] Wolton, D. (2003). *L'autre mondialisation*. Flammarion. Paris, p. 89.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 621–639 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

9. قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

القرآن الكريم.

1. أدونيس، (1985)، الشعرية العربية. دار الآداب. بيروت.
2. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1965)، كتاب الحيوان (تحقيق عبد السلام هارون). مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
3. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (دت)، البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل. بيروت.
4. ابن الجهم، علي، (دت)، ديوان علي بن الجهم، وزارة المعارف.
5. حدادي، عزيز، (2000)، صورة ابن رشد في الكتابات الأوروبية والعربية. مطبعة ما بعد الحداثة. الدار البيضاء.
6. الحديثي، سعدون محسن إسماعيل، (2019)، الانزياح في شعر السّياب. دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان.
7. حفناوي، بعلي، (2018)، الترجمة النقدية التأويلية الكتب المقدسة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان.
8. السياب، بدر شاكر، (2021)، ديوان بدر شاكر السياب، تقديم: الدكتورة ايناس عبد الهادي الربيعي. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.
9. عبد الرحمن، طه، (1995)، فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.
10. كيليطو، عبد الفتاح، (2002)، لن تتكلم لغتي. دار الطليعة. بيروت.
11. لوتمان، يوري، (2014)، سيمياء الكون. ترجمة الدكتور عبد المجيد النوسي. المركز الثقافي العربي. الطبعة الأولى. الدار البيضاء.
12. ابن منظور، محمد بن مكرم، (1994)، لسان العرب. دار صادر. الطبعة الثالثة. بيروت.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 621–639	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

باللغات الأجنبية

13. Arkoun, M. (1984). *Pour une critique de la raison islamique*. Maisonneuve et Larose. Paris.
14. Arkoun, M., & Gardet, L. (1978). *L'islam, hier-demain*. Buchet-Chastel. Paris.
15. Bassnett, S., & Lefevere, A. (1990). *Translation, history and culture*. Pinter Publishers. London.
16. Benjamin, W. (2000). « La tâche du traducteur » (M. de Gandillac, trad., rév. par R. Rochlitz). Dans *Œuvres I*. Gallimard. Paris.
17. Berman, A. (1985). « La traduction comme épreuve de l'étranger. » *Texte*, (4), 67-81. Toronto.
18. Berman, A. (1999). *La traduction et la lettre, ou l'auberge du lointain*. Seuil. Paris.
19. Berman, A. (2008). *L'âge de la traduction*. Presses Universitaires de Vincennes. Paris.
20. Bourdieu, P. (2001). *Langage et pouvoir symbolique*. Seuil. Paris.
21. Bourdieu, P. (2013). La censure. Dans : *Questions de sociologie*. Éditions de Minuit. Paris.
22. Delisle, J. (2021). *Notions d'histoire de la traduction*. Presses de l'Université Laval. Québec.
23. Durand, P. (dir.). (2004). *Médias et censure : figures de l'orthodoxie*. Éditions de l'Université de Liège. Liège.
24. Foucault, M. (1991). *Histoire de la sexualité, t. 1 : La volonté de savoir*. Gallimard. Paris.
25. Greimas, A. J., & Courtés. J. (1979). *Sémiotique : dictionnaire raisonné de la théorie du langage*. Hachette. Paris.
26. Gutas, D. (1998). *Greek thought, Arabic culture: The Graeco-Arabic translation movement in Baghdad and early Abbasid society*. Routledge. London/New York.
27. Heilbron, J. (2010). "Structure and dynamics of the world system of translation". *UNESCO International Symposium "Translation and Cultural Mediation"*, 1-7. Paris.
28. Jakobson, R. (1963). *Essais de linguistique générale*. Minuit. Paris.
29. Lefevere, A. (1992). *Translation, rewriting, and the manipulation of literary fame*. Routledge. London.
30. Lotman, Y. M. (1999). *Universe of the mind: A semiotic theory of culture* (A. Shukman, trad.). I. B. Tauris. (Publication originale 1990). London/New York.
31. Meschonnic, H. (1973). « D'une linguistique de la traduction à la poétique de la traduction. » Dans : *Pour la poétique II* . Gallimard. Paris.
32. Meschonnic, H. (1999). *Poétique du traduire*. Verdier. Lagrasse.
33. Said, E. W. (1980). *L'orientalisme : l'Orient créé par l'Occident*. Seuil. (Publication originale 1978) Paris.
34. Sciarrino, E. (2016). *Le plurilinguisme en littérature : le cas italien*. Éditions des Archives contemporaines. Paris.
35. Semprini, A. (2003). *La société de flux : formes du sens et identité dans les sociétés contemporaines*. L'Harmattan. Paris.
36. Venuti, L. (1995). *The translator's invisibility: A history of translation*. Routledge. London/New York.
37. Wolton, D. (2003). *L'autre mondialisation*. Flammarion. Paris.